قراءة في معجم المصطلحات الأدبية الحديثة للدكتور محمد عناني

أ.د.عبد النبي اصطيف
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

النقد الأدبي غير "كلام" يديره منشئ على "كلام" آخر هو الأدب؛ وعلى الرغم من أنه -كما بدا لأبي حيان التوحيدي- يدور بذلك "على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه"، وأن المنتهى منه لذلك "غير مطموع فيه، ولا موصول إليه"[1]، فإن مما لا شك فيه أنه كلام مختلف اختلافاً بيّناً عن موضوعه الذي هو الأدب، وإلا لما كان هناك حاجة لاستعمال دالّين اثنين هما "النقد الأدبي" و"الأدب" للإشارة إلى مدلول واحد. والحقيقة أن النقد الأدبي في صلته بالأدب يشبه إلى حد بعيد النحو، والمنطق، اللذين يتدبّر بهما المنشئ أصول التركيب في الكلام الإنساني، وقواعد التفكير فيها. فهو بهذا أداة تدبّر تيسّر على النشء مهمة التفكير المنظم في الأدب وشؤونه وذلك عندما يشرح ويفسّر ويحلّل ويركّب ويوازن ويقارن ويحكم، أو، بعبارة أخرى، عندما يقوم بعملية ذهنية تتصل بالأدب إنتاجاً واستهلاكاً. إن النقد الأدبي باختصار هو الأداة/الكلام الذي نفكر به بشكل واضح ومنظم ودقيق وهادف عن الأدب وشؤونه، عن طبيعته ووظيفته وحدوده وموقعه في جملة النشاط الإنساني الواعي والقصدي. وهو لذلك كلام يغلب عليه المصطلح، بل إنه يكاد يكون في جلّه مجموعة مصطلحات يتدبّر بها المنشئ النص الأدبي الذي يواجهه تدبّراً يستطيع أن يعرضه للآخرين عرضاً منظماً، واضحاً دقيقاً، فيقنع ويمتع بنشوة قدرة العقل على تتبّع روح المبدع، منشئ النص الأدبي، في قيامها بإنتاج ما تنتج من آثار يُجلُّها المجتمع ويرفع من مكانة أصحابها لسمو إنشائها بالقياس إلى إنشاء الناس أو كلامهم في حياتهم اليومية.

---

١ - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، الجزء الثاني، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت)، ص ص (١٣٠-١٣١).

والناظر إلى الإنشاء النقدي العربي الحديث يجد أنه يستعمل مصطلحات يعود قسم منها إلى التقليد النقدي العربي الكلاسيّ، ويعود القسم الآخر منها إلى التقاليد النقدية الغربية التي تفاعل الأدب العربي الحديث مع مختلف آدابها القومية خلال القرنين المنصرمين، يترجم منها ابتداءً، ويقتبسها لاحقاً، ويستلهمها فيما بعد، ويتبادل التأثير معها في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعزّز بذلك دوره في الأدب العالمي.

وهكذا وجدنا المكتبة العربية تعنى بهذا المصطلح المستمد من التقاليد النقدية الغربية وتسعى إلى تيسيره على القارئ العربي حتى يتعامل معه التعامل السليم القائم على فهم أصوله وتطوّر دلالاته في تلك التقاليد الغربية، ويتبين بذلك وجود توظيفه في تدبر الأدب العربي قديمه وحديثه، ويحكم على هذه الوجوه من التوظيف، وما تركته من آثار في تحديد فهمنا لأدبنا من مختلف جوانبه.

وقد كان للقارئ العربي نحو من عشرة مسارد[1] لهذا المصطلح كان آخرها معجم الدكتور محمد عناني الموسوم بـ: "**المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم انجليزي-عربي**"[2] الذي صدر عام ١٩٩٦ ضمن سلسلة "**أدبيات**" التي يشرف عليها الدكتور محمود علي مكي أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية في جمهورية مصر العربية، وتنشرها الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان. ولما كان هذا المعجم يُعدُّ بحق خطوة متقدمة في ميدانه، وينطلق فيه مؤلفه من وعي معرفي متقدّم في مسألة المصطلح النقدي عامة، وفي إشكالاتها المختلفة في الثقافة العربية الحديثة خاصة، فإنه جدير بوقفة متأنية تكشف عن وجوه خدمته لهذا المصطلح، مثلما تشير إلى عثراته.

---

١ - انظر تقويماً لبعض هذه المسارد في:

د.عبد النبي اصطيف، في النقد الأدبي العربي الحديث، مقومات، مداخل، نصوص، الجزء الأول، (منشورات جامعة دمشق، ١٤١٠-١٤١١هـ، ١٩٩٠-١٩٩١م)، ص ص (١٢١-١٣٨).

"دليل الناقد الأدبي"، الموقف الأدبي، العدد ٣٢٧، السنة الثامنة والعشرون، تموز، ١٩٩٨، ص ص (١٤٩-١٥١).

٢ - د.محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم انجليزي-عربي، (الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، ١٩٩٦).

يكتب الأستاذ الدكتور محمد عناني، أستاذ الأدب الانكليزي في جامعة القاهرة، وصاحب الخبرة المتميزة في دراسة هذا الأدب وترجمة روائعه ولاسيما آثار شكسبير التي قدّم بعضها بحلة جديدة تيسّر تقديمها على منصة المسرح العربي، في تصديره لهذا المعجم:

((هذا معجم من لون جديد، فهو لا يعرّف المصطلحات الأدبية مفردة، بل يلقي عليها الضوء في سياقاتها الحية، مبرزاً الاختلاف في مفهومها في إطار ما يسمى بالنظرية الأدبية أو النقدية الحديثة، والتي شاعت الإشارة إليها بلفظ "النظرية Theory" وحسب.

وهو ينقسم إلى قسمين متكاملين: مقدمة عامة ترصد الجذور وتتناول المشاكل الخاصة بترجمة المصطلحات وتعريبها؛ ومعجم وجيز يتضمن أهم المصطلحات التي شاع استعمالها في ربع القرن الماضي، وبالتحديد من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٩٥. وإن كانت قد أبحتُ لنفسي أن أدرج مصطلحات نشأت قبل ذلك في لغات أوربا الشرقية وآدابها، ولم يكتب لها أن تشيع إلا عند ترجمتها إلى لغات أوربا الغربية)) (ص١).

وأما المقدمة التي طالت فأمعنت في الطول وبلغت نيّفاً ومئتي صفحة، فإنها:

((تتضمن أبواباً كان يمكن أن أدرجها في متن المعجم، ولكنها تعود بالقارئ إلى بدايات المدارس التي أتت بالنظرية، فهي أسبق تاريخاً من الحد الزمني الذي وضعته للمصطلحات؛ وهي تتضمن كذلك بعض المسائل المتعلقة بفنون ترجمة المصطلح، ونبذة تاريخية بالغة الإيجاز عن دخول مصطلحات النقد الأوربي والأمريكي إلى العربية، ثم عرضاً موجزاً للشكلية الروسية، ومدرسة براغ، ومدرسة موسكو ارتو، والبنيوية في فرنسا وأمريكا، والتفسيرية أو (الهرمانيوطيقا)، والتفكيكية، ثم علم العلامات أو (السيميوطيقا)، وأخيراً، كلمة موجزة عن النقد النسائي)) (ص٣).

وأما المعجم فقد اتبع فيه العناني منهج ما يسمى بـ"معجم المقالة"، أي "كتابة مذكرات موجزة عن كل مذهب يضم عدداً من المصطلحات بحيث تتضح معانيها في غضون عرضها". وهكذا امتدت المقدّمة نحواً من أحد عشر فصلاً، تطرّق الأول منها إلى مشكلات المصطلح النقدي من مثل التخصص والتجريد والتعميم والنسبة واستعمال المصدر الصناعي؛ وانصرف الثاني منها إلى تلمس بدايات تفاعل الأدب العربي الحديث مع الآداب الأخرى واستجاباته الاصطلاحية لهذا التفاعل ولاسيما في ميادين دراسة الشعر

والنثر القصصي. أما الفصل الثالث فقد درس فيه مصطلح النقد المسرحي، في حين خصص الفصول الرابع والخامس والسادس لمدارس نقدية مهمة كان لها أثر محدّد في مسيرة النقد العالمي في القرن العشرين، وهذه المدارس هي مدرسة "الشكلية الروسية Russian Formalism"، ومدرسة براغ، ومدرسة موسكو-تارتو. اما الفصول المتبقية فقد درس فيها اتجاهات النقد الغربي الحديثة والراهنة، فخصص الفصل السابع للبنيوية، والثامن للتفسيرية، والتاسع للتفكيكية،.والعاشر للسيميوطيقا، والحادي عشر والأخير لتقليعة "النقد الأدبي النسائي".

وبعد تقديم المصطلح النقدي الغربي في سياقاته الأوسع التي تيسّر فهم دلالاته وتطورها وطبيعة صلاتها ووجوه توظيفها في النقد العربي الحديث، قدّم العناني معجمه الموجز الذي امتدّ أربعاً وعشرين ومئة صفحة، وضمّ مجموعة مهمة جداً من المداخل الموجزة المتصلة بالنقد المعاصر وتطوراته في ربع القرن الأخير، أي منذ تسنم البنيوية سنام المشهد النقدي وبدايات ردود الأفعال التي أطاحت بها.

ومعنى هذا أن المقدمة الضافية الممتازة، والمعجم الموجز المركّز، يتكاملان تكاملاً وظيفياً واضحاً يخدم القارئ العربي الذي كثيراً ما يضلّل، أو يضلّ، في متاهات التوليد الاصطلاحي المسرف الذي يبدأ من نقطة الصفر متجاهلاً بذلك جهود السابقين، ومتنكراً لها.

وربما كان من أبرز فضائل معجم العناني أن صاحبه يتجنب هذا السلوك القاتل لأي تقدّم معرفي، ويبدأ من حيث انتهى الآخرون، ولاسيما مجدي وهبة في "**معجم مصطلحات الأدب**" الذي صدر عام (١٩٧٤).

والعناني لا يكتفي بتقفي خطى مجدي وهبة، والاستعانة بسفره النفيس، كما يصفه، في إيضاح الغامض الغريب من مصطلحات النظرية النقدية الحديثة، بل يهديه معجمه الجديد "آية عرفان بالجميل، رحب لا يموت"، وكيف لا يفعل عناني ذلك ومجدي وهبة قد "فتح الطريق وأرسى الأسس".

وإذ يبدأ العناني من حيث انتهى مجدي وهبة، فإنه يتجنب المصطلحات الأدبية الواردة في معجم وهبة إلا "ما تغيّر معناه واقتضى التنويه به" (ص٢)، ويقدّم المصطلحات الأدبية والنقدية الحديثة مقترحاً ترجماته التي يقرّ بأنها ترجمات غير نهائية. ذلك أن

القصد أن تمثل هذه الترجمات "معاني تلك المصطلحات فحسب، ابتغاء تقريبها من قارئ العربية المعاصرة" ولذلك فإن المعجم كثيراً ما يتضمن "أكثر من ترجمة واحدة للمصطلح الواحد"، وفقاً للمعاني أو ظلال المعاني التي استطاع استخلاصها من كتابات النقاد عنه، مشفوعة بالشرح وبالشواهد التي تستند إليها الترجمة.

والحقيقة أنه على الرغم من معاصرة هذا المعجم ومجاراته لأحدث تطورات النقد ونظرياته في العالم الغربي، وانطلاق مؤلفه من معرفة خبيرة في شؤون المصطلح وشجونه، وحرصه على الدقة والوضوح في كل ما أورده لقارئه الذي يحتفي به حفاوة كبيرة بخدمته على النحو الأمثل وبخاصة في مسرده (ص ص ١٣٩-١٥٨) الذي يشفع به معجمه، وفي ثبتي مراجع المقدمة (ص ص٢١٠-٢١٦) والمعجم (ص ص١٢٥-١٣٨) اللذين يشيان بجهد يقل نظيره في التأليف العربي الحديث، فإن من البيّن أن معجماً كهذا لا يمكن أن يشفي غلة القارئ العربي إلى معجم موسوعي واف بكل مصطلحات النقد الحديث والمعاصر التي وفدت إلى المشهد النقدي العربي في القرن العشرين. فضلاً عن أن اعتماده المسرف على معجم جيرمي هاوثورن **مسرد مختصر للنظرية الأدبية المعاصرة A Concise of Contemporary Literary Theory**، على أهميته، وإغفاله معاجم موسوعية في غاية الأهمية من مثل **موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (١٩٩٣)، **وموسوعة النظرية الأدبية المعاصرة: مقاربات، باحثون، مصطلحات** (١٩٩٣)، **ودليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (١٩٩٤) وغيرها مما أشير إلى أهميته في موضع آخر[١]، ربما حرماه من مصادر غنية ومهمة جداً في حقل تأليفه. وبالطبع فإن المرء لا يسعه إلا أن يحمد للمؤلف عودته إلى الكثير من المعاجم المتخصصة التي يثبتها في خاتمة معجمه (ص ص١٢٤-١٢٥)، ومراجعته لعشرات المؤلفات النقدية العالمية (ص ص١٢٥-١٣٨ و ٢١٠-٢١٦)، ولكنه من جهة أخرى يأسف لأن المؤلف لم يتيسر له الاطلاع على طبعاتها الأحدث كما في معجم "Guddon" الذي

---

١ - للاطلاع على المزيد حول هذه الموسوعات انظر:

د.عبد النبي اصطيف، "من موسوعات المصطلح الأدبي والنقدي"، مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها، العدد الأول، ١٩٩٨، ص ص (١٣١-١٣٦).

صدرت منه طبعة موسعة ومنقحة حملت عنواناً جديداً هو معجم بنغوين للمصطلحات الأدبية والنظرية الأدبية في عام (١٩٩١)[١]، أو في مسرد ريموند ويليامز الذي صدرت منه طبعة موسعة[٢] (١٩٨٣) أو في مؤلف لينتريتشيا ووصيفه ماكلوغلين الذي صدرت منه طبعة موسعة[٣] عام (١٩٩٥) وغيرها، مما يشير إلى المشقة التي ينبغي للباحث العربي أن يتكبدها إذا ما رغب في جعل بحوثه راهنة حقاً، وبخاصة في ظل تخلف المكتبات العامة والبحثية في الوطن العربي عن مجاراة حركة التأليف العالمي. وهكذا فإن هذا المعجم الوجيز والقيّم في آن معاً يعد بحق خطوة متقدمة نحو تأليف معجم موسوعي لمصطلحات النقد والأدب، ولكنها تظل خطوة فردية، بكل وجوه العمل الفردي الإيجابية والسلبية، وكيف للجهد الفردي أن ينهض بحاجة مجتمع متلهف للحاق بركب العصر المعرفي.

ذلك أن تأليف معجم موسوعي لمصطلحات النقد والأدب في الثقافة العربية الحديثة بحاجة إلى الأخذ بمبدأ عمل الفريق البحثي الذي يقوده محرر خبير وقادر، وتدعمه مؤسسة عامة، وتشرف عليه هيئة علمية مؤهلة، ويتوجه إلى جمهور واسع من المعنيين بالعملية الأدبية في المجتمع الحديث إنتاجاً واستهلاكاً، وبذلك وحده نكون قادرين على الإسهام المعرفي في عالمنا، بدل انتظار فتات موائد الآخرين.

---

١ - انظر:

J.A.Cuddon, The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory, Third Edition, (Penguin Books, London, 1992).

٢ - انظر:

Raymond Williams, Keywords: A Vocabulary of Culture and Society (Fontana Press, London, 1988).

٣ - انظر:

Frank Lentricchia and Thomas Mclaughlin, (eds.), Critical Terms for Literary Study, Second Edition (The University of Chicago Press, Chicago and London, 1995).